عريسٌ رغم أنفي (أ)

«سيبك من المثل بتاع امشي في جنازة ولا تمشيش في جوازة.. أنا شخصيًا بمشي في الاتنين!»

رنَّ الهاتف رنات متلاحقة ارتجَّت لها الشّقَّة..

في المطبخ كنت أعد صينية البطاطس بالفراخ.. الطعام الرسمي والمفضل لي في ذلك الوقت من حياة العزوبية أو العذوبة..

لا أحتاج إلىٰ كثرة ذكاء لأدرك أن المتصل هو مولانا.. فدأبه الاتصال حتىٰ يضجَّ الهاتف ويضيق.. وعندها تكونُ بين خيارين كلاهما أن ترد.

- السلام عليكم يا أخي.. اسمي عبد الحليم عويس.

- الاسم ده مش غريب عليَّ.. مرحبًا

- البس وتعالىٰ حالا

- طيب يا أستاذنا لمَّا أخلص الأكل اللي في إيدي

- هاته وتعالىٰ

- طيب والشباب المسكين اللي معايا في الشقة ياكلوا إيه؟! دول ما بيصدقوا أكون موجود علشان أعملهم أكل كويس

- هاتهم معاك يا أخي- والله- وأنا أجيب لهم أحسن أكل.. بس ياكلوا وينتشروا في الأرض، علشان رايحين مشوار..

- فين يا أستاذنا؟!

- لما تيجي هقولك

لم يكن أمامي سوىٰ السمع والطاعة.. انتهيت من إعداد الصينية.. تركت طهي الأرز للصديق علاء مؤمن أو للرائع محمد شعبان.

علاء أكثر إجادة في عمل الأرز.. أما محمد- سامحه الله- فكان يضع كل ما في المطبخ كخلطة علىٰ الأرز: بسلة، جزر، بطاطس.. وأشياء أخرىٰ كنا نسأل عنها فلا نجد لها جوابًا.. ولذا كنتُ أنصح الشباب ألا يسألوا، وطالما قلت لهم: (لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم)!

انطلقت إلىٰ مولانا، فما رآني حتىٰ صاح: إيه اللي أنت لابسه ده يا أخي؟!

- تي شيرت وبنطلون يا أستاذنا

- ما أنا عارف إنه تي شيرت وبنطلون.. ما أنت كل يوم بتلبس بدلة اشمعنىٰ النهاردة يعني!

- الحر يا مولانا

- خلاص.. البس البدلة وتعالىٰ

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. طيب وما له اللبس ده؟! وإحنا رايحين فين؟

- رايحين نشوف عروسة يا أخي

وهنا تساءلت بمكر:

- لمين؟!

- ليَّا أنا يا أخي! رَدَّ بحدة..

- طيب والحاجة؟!

- يا أخي اتق الله، عروسة لك إنت

- بس أنا مش هتجوز دلوقتي.. ولو هتجوز مش هتكون من القاهرة.. اعفيني من الأمر ده

- الناس في انتظارنا..خد تاكسي، والبس بدلتك، وتعالىٰ بعد ربع ساعة

لم يكن بُدٌ ولا مفرَّ من النزول علىٰ رأيه، لكن ليس بعد ربع ساعة كما كان يأمل دائمًا، فقد كان من عادته أن يتصل بي من القاهرة وأنا في البحيرة فيطلب مني الحضور بعد نصف ساعة- إي وربي-، وربما اتصل بي من العجوزة طالبًا مني أن أهرع من مدينة نصر في خلال خمس دقائق..

هكذا كانت حياته قائمة علىٰ فرضية خلو الشوارع من المارَّة والسيارات علىٰ حدٍ سواء!

المهم أني بدأت معه رحلة البحث عن عروس..

كان معنيًا بتزويج الشباب.. ولم يك يجد أدنىٰ غضاضة في اصطحاب أحد تلاميذه لرؤية عروس.. كان يقول: سيبك من المثل بتاع امشي في جنازة ولا تمشيش في جوازة، أنا شخصيًا بمشي في الاتنين»

لم أكن وقتها مستعدًا للزواج.. لا نفسيًا ولا ماديًا.. وراتبي لا

يكفي.. ولولا أن الوالد- متَّعه الله- بالعافية كان يضع لي بعض النقود في الملابس دون علمي، فضلا عن بعض مقالاتي، لكنتُ من الجالسين علىٰ باب السيدة!

ركبنا السيارة.. عبثًا حاولت إثناءه عن أمر العروس دون جدوىٰ.. ودخل في نوبة من اللوم والتقريع:

- مش قلت لك تتعلم السواقة علشان تساعدني.. بدل ما حضرتك قاعد كده وأنا سايق!

- والله ده محتاج استعداد فطري.. وأنا لا نية عندي لقيادة سيارة

- يا أخي، السواقة يستوي فيها المتعلم والجاهل، لا تحتاج إلىٰ ذكاء

كانت العروس تسكن في منطقة راقية بالقاهرة، وهو ما جعلني أتساءل:

- ودي حضرتك هتقعد في البلد عندنا إن شاء الله؟!

- طبعًا.. طبعًا..

- ما شاء الله من القاهرة للفلاحين.. دي مطيعة بقىٰ!

- جدًا.. وبنت ناس طيبين

لم أجد فائدة من النقاش في ظل ديكتاتوريته التي أحببتها رأيت العروس..

لم تكن تصلح لي أو أصلح لها.. فضلا عن عدم اقتناعي بالمبدأ من الأساس؛ لأن من نشأت هذه النشأة لا يمكن لها أن تقيم في الفلاحين.

شكرتُ لمولانا حسن الاهتمام.. تعللت بأنني غير مرتاح لها.. عرض عليَّ الذهاب ثانية والجلوس معها.. فربما بدا لي منها ما رغَّبني فيها.. قلت له:

- إديني إيدك أبوسها يا مولانا.. بلاش الله يكرمك، كفاية كده.

- خلاص يا أخي، براحتك.. أنت وشأنك.. ولن أتدخل ثانية في هذا الأمر ولو عنَّسْتَ!

حمدتُ الله في سريرتي، وأثنيت عليه بما هو أهله.. أخيرًا سأكون حرًا طليقًا!

***

لم تمر عدة أيام حتىٰ فاجأني قائلا: غدًا سنسافر إلىٰ إحدىٰ المدن..

لم أسأل كثيرًا.. كنت أتوقع أي شيء إلا أن يُعيد الكَرَّة ويُرشح لي عروسًا.

قطعنا الكيلومترات نضرب أكباد السيارة.. البرودة تنخر في عظامي الهشَّة.. والمطر يتساقط بغزارة..لم تُفلح ماسحاتُ زجاج السيارة في ملاحقة الماء المنهمر.. دخلنا في مرحلة انعدام الرؤية..

ها نحن نصل إلىٰ مقصدنا.. أصحاب المنزل في انتظارنا.. بَدَوا علىٰ أحرٍّ من الشوربة التي توسَّطت المائدة.

احتفوا بنا بشكل مبالغ فيه..

كان الدكتور قد اصطحب معه علبة حلوىٰ فاخرة.. حملتها أنا..

وهذه من المرات القليلة التي يسمح لي فيها بحمل أحد أغراضه.. ما كان ليوافق إلا إذا كان يحمل هو الآخر شيئًا..

وهنا كانت المفاجأة، قال مولانا: الأستاذ وليد جاب الهدية دي معاه.

دارت بي الأرض دورتها.. وبلغ مني الغيظ مبلغه، فشهقت شهقة كادت تنفجر لها رئتاي..

هذا معناه أن عروسًا تنتظرني، تبًا للزواج!

إلىٰ المائدة جلسنا مع والد العروس وسط ترحيب متكرر.. اتفضل حضرتك.. كُلْ من اللحمة دي، وحتة البطة دي، والكفتة ما أكلتش منها، ويبدو المحشي مش عاجبك..

كنت آكل الطعام كالمضطر إلىٰ الميتة.. أحسست بمعدتي الصغيرة تتقلص من الغضب، ألم يعدني الدكتور ألا يتدخل في أمر زواجي؟! فلِم يعيد الكَرَّة؟!

أدركَ بذكائه الحادِّ عندها شدة غضبي..

كعادته تحدَّث عني كأنني عباس العقاد أو مصطفىٰ صادق الرافعي.. أما أنا فوددت لو أقول لهم: هذا من مبالغات أستاذنا، أنا راتبي لا يكفي المواصلات، ولا أفكر في الزواج الآن!! ولا أمل يُرتجىٰ من ورائي.

لكني استعذت بالله في النهاية.

انتهينا من الطعام.. وطلب سيدنا من الأب وربما الأم- لا أذكر-

منحني فرصة لرؤية العروس والجلوس معها، فذلك أحرىٰ أنْ يُؤدم بيننا

ياللطامَّة!

كما توقعت، لم تختلف هذه العروس عن سابقتها.. مؤدبة.. خجولة.. أما والدتها فسيدة مهذبة فاضلة.. لم يعبها سوىٰ حديثها معي في التفاصيل.. كأني ذهبت للاتفاق وليس للرؤية.. لكن للأمانة لم تسألني عن موعد الزواج.

قدمت العروس الحلوىٰ.. أكلت بعض الشظايا..

ألحَّت أُمُها.. اعتذرتُ لكوني لا أُحبها كثيرًا.

قامت الأم فأحضرت علبة شيكولاتة من الحجم العائلي.. وضعتها بين يدي فشكرت لها صنيعها..

لم أَمُدّ يدي إليها.. أكره الشيكولاته كثيرًا.. والآن زادت كراهيتي لها أكثر فأكثر.

أعطتني واحدة.. أكلتها مضطرًا أيضًا..

ألحَّت في أُخرىٰ.. اعتذرتُ بشدَّةٍ: والله أنا مش بآكل سكريات كتير.

نظرتْ الأُمُّ إلىٰ ابنتها، والبنت إلىٰ أُمِّها بتوجس.. يبدو أنهما توهمتا أني مريض بداء (السُّكَري) والعياذ بالله.

فليكن ذلك..

أفضل من الزواج بالإكراه!

عريس رغم أنفي (ب)

«حوار فطري ثنائي تقتضيه طبيعة الحياة التي فطرها الله عليها، إنه حب خفي ووئام وتكامل تحققه الحياة بأسلوبها المتنوع»

ما إن خرجنا من بيت العروس- التي صُحبت إليها قسرًا- حتىٰ ابتدرني بالسؤال المعتاد:

- إيه الأخبار يا أخي؟! والله ناس طيبين، والبنت ما شاء الله عليها: أدب، ودين، وحَسَب، ونَسَب، و....

- فعلا يا أستاذنا ناس محترمين جدًا، وواضح إن البنت ديِّنة وخَلُوقة

- خلاص يا أخي علىٰ بركة الله

التقط مولانا التليفون وهمَّ بالاتصال، ففزعتُ قائلا:

- إيه ده! حضرتك هتتصل بأبوها؟!

- أيوه يا أخي

- يا سيدي.. والله، ما هكذا تُورد الإبل

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إبل إيه وغنم إيه؟! إنت هتتجوز من قُريش؟! وبعدين الجمال مش كل حاجة

- بصراحة البنت كويسة، لكنها لا تصلح لي، ولا أصلح لها.. والحمد لله حضرتك اعترفت إنها مش جميلة.. وأنا عايز واحدة